



الفحص الطبي قبل الزواج

من منظور إسلامي

د. حسن عبد الغني أبو غدة*

الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحفظ للفرج ، ...) .
٢ - في الزواج إشباع للجانب الروحي والعاطفي عند الإنسان ، لأنه يؤدي إلى سكون النفس وراحتها ، ويحقق لها مزيداً من التعاطف والتآلف ، كما أوضحت ذلك الآية السابقة .

٣ - الزواج أحسن وسيلة لإنجاب الأولاد وتكثير نسل الأسرة والمجتمع وزيادة عدد السكان ، وبخاصة أن النفوس فطرت على حب النرية ، مصداقاً لقوله تعالى في سورة الكهف الآية / ٤٦ : (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) . فمن أراد نرية يملؤون حياته بهجة وحبوراً ، ويكونون له سندا وظهيراً ، فعليه بالزواج . وفي الحديث الذي رواه أبو داود والنسائي وأحمد والحاكم : (تزوجوا الولود الولود ، فإنني مكأثر بكم الأمم) .

٤ - إنه يؤدي إلى تكامل عاطفة الأبوة والأمومة ، ونمو مشاعر العطف والحنان ، وذلك من خلال إنجاب الأبناء ، وهذه القيم والفضائل ضرورية لبناء مجتمع متعاضد متآزر .

٥ - إن تحقق التآلف والسعادة الزوجية يجعل كل طرف مكتفياً بالآخر ، دون أن تتطلع عيناه إلى ما لا يحل له ، ومن هنا كان الزواج وقاية للإنسان من كثير من الأمراض العضوية والنفسية ، وتشير الدراسات المعاصرة إلى أن المتزوجين أطول أعماراً من العرّاب ، وأكثر استقراراً في حياتهم الخاصة والعامة ، وأبعد عن الأمراض النفسية والعضوية .

ولأمر ما سئى الله تعالى المتزوج محصناً والمتزوجة محصنة ، وعبر عن كل منهما بأنه لباس للآخر ، يحميه كما يحمي الحصن أو اللباس صاحبه ، قال الله تعالى في سورة النساء الآية / ٢٤ : (والمحصنات من النساء) . وفي آية أخرى : «هن لباس لكم وأنتم لباس لهن» البقرة / ١٨٧ .

دعوة الإسلام إلى عدم إخفاء الخاطبين ما عندهما من عيوب :
دعا الإسلام إلى إنشاء العقود بين المتعاقدين - ومنها عقد الزواج - على أساس من الصدق والنزاهة والوضوح والتراضي الكامل ، ونهى عن سلوك طريق الغش والتدليس والكذب وإخفاء الحقيقة ، قال الله تعالى في الآية / ٢٩ من سورة النساء : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم في طريق الغش ، ولا تأكلوا أموالكم التي أطعمتكم الله تعالى ، ولا تأكلوا أموالكم التي أطعمتكم الله تعالى ، ولا تأكلوا أموالكم التي أطعمتكم الله تعالى ، ولا تأكلوا أموالكم التي أطعمتكم الله تعالى) . وفي الحديث الذي رواه مسلم وغيره يقول النبي ﷺ : (من غشنا فليس منا) .

بل إن الإسلام يعتبر أي مخالفة لهذه التوجيهات نوعاً من أنواع النفاق ، فقد روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال : (آية المنافق ثلاث : إذا حدث

يراد بالفحص الطبي قبل الزواج : قيام الزوجين بإجراء فحوص طبية تخصصية ، تشمل القلب ، والكلى ، والصدر ، والأجهزة التناسلية ، وتحاليل الدم ، ونحو ذلك ، مما يمكن المختصين من الأطباء من تقرير ما إذا كانت المصلحة الصحية والتناسلية ، أن يتم الزواج بين هذين الطرفين أم لا ؟ .

أما غاية هذا الفحص فهي تحقيق أعلى قدر من الطمأنينة الممكنة على مستقبل هذا الزواج المنشود بين الطرفين ، والمفترض فيه مستقبلاً أن يكون مستمراً ومستقراً ، على أساس من المودة والسعادة ، والترابط النفسي المتين ، والتراحم الأسري الفاعل بين الزوجين ، للوصول إلى المقاصد الشرعية للزواج ، والتي يأتي بيانها لاحقاً . قال الله تعالى في سورة الروم الآية / ٢١ : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .

طبيعة الرجل والمرأة :

الزواج سنة حميدة من سنن الله في هذا الكون ، إذ من خلاله تعمير الأرض وتستمر الحياة ، وقد أودع الله تعالى هرمونات في بدن كل من الذكر والأنثى تدفعه دفعا إلى الجنس الآخر ، وجعل بين الطرفين تجاذبا فطريا لا يحده حدود ولا يقبده وقت ، وليست هناك قوة تقف بهما عند حد الوظيفة الجنسية ، فكل من الزوجين يميل إلى الآخر دائما ، أضعاف ما فيه من الرغبة الجنسية ، وقد خلق الله كل ذلك لغايات سامية ، إذ ليست العلاقة بينهما علاقة قضاء مارب وحسب ، بل هناك الصلات القلبية ، والتعلق الروحي ، والتمازج النفسي المعنوي ، مصداقاً لقولي تعالى : «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة» .

مقاصد الزواج في الإسلام :

للزواج في الإسلام مقاصد عديدة منها :

١ - أنه الطريق الفطري الأوضح الصحيح لإرواء الغرائز التي أودعها الله في بدن كل من الرجل والمرأة ، بعيداً عن الإبتذال والمهانة وضياع الكرامة ، وفي الحديث الذي رواه البخاري : (يا معشر الشباب ، من استطاع منكم



الأخر ، وطلب منه تقديم شهادة طبية من جهات مختصة تفيد خلوه من الأمراض وسلامته من العقم ، ونحو ذلك مما يتصل بمقاصد الحياة الزوجية ، والأصل في هذا حديث النبي ﷺ الذي أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما : (إن أحق ما وفيتم به من الشروط ما استحللتم به الفروج) . وفي حديث آخر رواه أبو داود وأحمد وغيرهما : (المسلمون عند شروطهم) .

فسخ الزواج للتكتم على الأمراض ونحوها :

بحث الفقهاء المسلمون أمثال هذه القضية التي نحن بصددتها تحت ما أسماه «عيوب النكاح» ومما قرره في هذا المجال : أن تكتم أي طرف على الآخر وقت العقد ، أو إخفاء عاهته أو نقصاً أو مرضاً مصاباً به ، قد يلحق به ضرراً ، أو ربما يتعدى إلى الولد ، يعتبر خلا مؤثراً في مقصود النكاح ، ويمنح الطرف المغرر به حق خيار فسخ النكاح ، المرأة والرجل في هذا الحق سواء .

ومن العيوب التي عرضوا لها وذكروها : العته والجب في الرجل ، والرتق والعقل ونحوه في المرأة ، والجنون (الأمراض العصبية والنفسية) والجدام والبرص في الرجل أو المرأة ، ونحو تلك الأمراض والعاهات التي تمنع المقصود من النكاح ، أو توجب نفرة وبعداً عن المصاب بها ، أو يخاف من المصاب بها أن يجني على الآخر بسببها كالجنون ، أو يخشى منها أن تتعدى وتنتقل إلى نفسه ونسله كالأمراض المعدية .

هذا ، ويثبت حق خيار العيب على التراخي ولو بعد زمن طويل نسبياً ، ولا يسقط ما لم يوجد ممن له الحق ما يدل على الرضى به ، من القول كالتلفظ ، أو الفعل كالاستمتاع .

وذكروا أن كل موضع ثبت فيه الخيار ، فتم بسببه فسخ الزواج قبل الدخول ، فلا مهر على الفاسخ ، لأنه معذور بالتغريم به . وإن تم فسخ الزواج بعد الدخول ، وكان التغريم من المرأة التي لها المهر ، فلا شيء على المغرر به أيضاً ، لأنها هي التي جنت على نفسها وتكتمت على أحوالها . أما إن كان التغريم من غير المرأة ، فعلى الزوج أن يدفع لها المهر ، ثم يرجع بمثله على من غرر به فيأخذه منه .

في الختام : وهكذا يتضح أن الإسلام يرحب بكل وسيلة كريمة نافعة ، تحقق للفرد المسلم وللمجتمع المسلم مزيداً من أسباب الاستقرار الأسري والسلامة البدنية ، والطمأنينة على مستقبل النفس والنسل والذرية . من خلال زواج صحيح معافي ، يدوم ويستمر أكثر من زواج فيه الأمراض والعلل ، والتشوهات ، والمعاناة المريرة .

وليس في هذا معارضة لقضاء الله تعالى وقدره ، وإنما هو تحول من قضاء الله إلى قضاء الله ، كما قال عمر رضي الله عنه : نهرب من قضاء الله إلى قضاء الله . ومن المعلوم في القضايا التشريعية كما يقول الفقيه المشهور عز الدين بن عبد السلام : أن الشرع يحاط لما يكثر وقوعه مثل احتياطه لما يتحقق وقوعه . كما يتضح مما سبق : أن الإسلام يقف إلى جانب المتضرر ، ويتعاطف معه فيما نزل به من أذى أو لحقه من ضرر ، ويلقي بتبعه ذلك على من أساء الأمانة وتكذب الطريق السوي ، وتعتمد إلحاق الضرر بغيره ، فيجرمه من تحقيق آماله وأهدافه الباطلة ، « لا يحيق المكر السيء إلا بأهله » .

* كلية التربية - جامعة الملك سعود

كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان) .

وفي ضوء هذه النصوص وأمثالها ، يمكن القول : بأنه ينبغي على كل من الخاطين إعلام الآخر بما قد يكون عنده من مشكلات صحية ، أو أمراض أو عاهات بدنية ، أو نفسية ، تخل بمقصود من مقاصد الزواج ، في الاستمتاع ، وطلب النسل ، وتحقيق الراحة والطمأنينة ، أو تؤثر في استقرار واستمرار الحياة الزوجية ، أو تسيء إلى نسل الطرفين ، بإحداث تشوهات خلقية ، أو أمراض معدية أو مستعصية .

وإن أي تكتم على هذه الحالات السابقة وأمثالها يعتبر إخفاء للعيوب ، وتديسا محرماً ، وإساءة مقصودة ضد الطرف . روى الإمام أحمد أن النبي ﷺ تزوج امرأة من بني غفار ، فلما دخل عليها وخالها أبصر بكشحتها - أي خصرها - بياضاً - أي أشبه بالبرص - فانحاز عنها ، ورذها إلى أهلها ، ولم يأخذ مما آتاها شيئاً ، وقال : دلستم علي .

وروى عبد الرزاق في المصنف وأبو عبيد في الأموال : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث ابن سندر - وكان خصياً - على السعاية فاتاه فقال : تزوجت ، فقال له عمر : هل أخبرتها أنك عقيم لا يولد لك ؟ قال : لا ، قال : أخبرها ، ثم خيرها . وإنما قال له ذلك ، مراعاة لحق الزوجة التي عسى أن تكون تريد الولد ، وزوجها عقيم لا يولد له .

وإذا كان الأمر في القستين الآتيتين يتصل بالجوانب الجمالية والتناسلية ، فكيف به إذا كان له علاقة بالأمراض والعاهات المعدية ونحوها ، مما تتعذر معها الحياة ، وربما تستحيل .

أهمية الفحص الطبي وسهولته :

توجب كثير من الأنظمة المعاصرة على من يريد الزواج إجراء فحوص طبية ، تهدف إلى تقرير ما إذا كان من مصلحة الطرفين الاقتران ببعضهما ، وذلك للاطمئنان على مستقبلهما الصحي ومستقبل نسلهما .

ويتفق هذا التوجه مع مجموعة من النصوص الشرعية والإرشادات الدينية ، التي تدعو إلى توفير عوامل القوة ومراعاتها في عموم المجتمع المسلم ، ومن ذلك الحديث الذي رواه النسائي وابن ماجه عن النبي ﷺ أنه قال : (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف) .

وفي أحد المواقف العملية المروية عن عمر رضي الله عنه أنه لاحظ في أبناء قبيلة بني السائب ضعفاً في أجسامهم ، وخمولاً في قدراتهم ، وقصوراً في نشاطهم ، فظل يتتبع هذا الأمر ويفكر فيه ، حتى امتدى إلى سببه الرئيس وهو : أن أبناء القبيلة وبناتها يتزوجون من بعضهم ولا يتعدون ذلك إلى غيرهم إلا نادراً ، فقال لهم كلمته المشهورة : يا بني السائب ، اغتربوا حتى لا تضووا . أي : انكحوا الغرائب كي لا يضعف أولادكم . يقال في لغة العرب : أضوت المرأة : إذا ولدت ولداً ضعيفاً نحيفاً .

إن الكشف الطبي لا يتطلب وقتاً طويلاً ، ولا جهداً كبيراً ، ولا نفقات باهظة ، وحتى لو كان الأمر كذلك ، فحريّ بالإنسان العاقل أن يبذل بعض ماله في سبيل سلامة صحته ، بل في سبيل سلامة نسله ، والبحث عن استقراره النفسي والعضوي ، وطمأنينته على ذريته ومستقبله الأسري . والفحص الطبي قبل الزواج يشتمل غالباً على قيام أطباء متخصصين بإجراء فحوص على الدم والقلب والكلى والصدر والأجهزة التناسلية ، ونحو ذلك مما يطمئن ذوي العلاقة إلى سلامة الزوجين ونسليهما - بإذن الله تعالى - من الأمراض التي قد تعيق استمرار أو استقرار الحياة الزوجية . هذا ، ويتأكد الفحص الطبي شرعاً فيما إذا اشترطه أحد الطرفين على